ذيلي لاطهر من عيون العاشقين نخل مالا . .
انّما تفتح في رياض الحسن وردك او تلالا
ينسدّ باب الصبر في وجهي وتبدلني خيالا
ضع رجلك اليمنى على عيني اذا شئت اختيالا
فبغير ترب دستهُ لا ترتضي عيني اكتحالا

ميرزا عباس الخليلي
صاحب جريدة اقدام الفارسية

أعجز في اللغة العربية

(٢)

٥ ادخال الاعجميات في لغتنا يهوّن درس العلوم

يقولون ان في نقل الكلم بمعجمها الى العربية فائدة لابناء العرب ، لانهم اذا ارادوا مراجعة كتب العلماء الاجانب في الموضوع نفسه يهون عليهم فهم كلامهم ، اذ الالفاظ العلمية تكون واحدة في جميع اللغات

نقول : ان فهم كلام العلماء لا يتوقف على الالفاظ العلمية وحدها ، فان هذا من اهون الهينات على من يحسن اسرار لغة الكتاب الذي يطالعهُ وقواعدها وضوابطها ، وانما الصعوبة كل الصعوبة في تفهم تركيب العبارة ومساقط المعاني الواردة في ذلك التركيب . ألا ترى انك اذا طالعت شيئاً مكتوباً بلسان الترك تكاد تعرف جميع ما فيهِ من الالفاظ لان اغلبها عربي ، واذا حاولت ان تفهم ما قال الكاتب التركي لا تكاد تدرك ما يريد من كلامهِ

وهكذا قل عن الفرنسي الذي يطالع ما يكتبهُ الايطالي والاسباني او اللاتيني او بالعكس . وهكذا قل عن سائر اللغات الراجعة الى امّ واحدة . اما اذا وقفت على سر تركيب العبارة فقد هان عليك بعد ذلك فهم ما ترى فيها من الالفاظ التي تعترضك في اثناء المطالعة

ثم ان الذي بلغ بهِ الجدّ والسعي الى مطالعة كتب العلماء بلسانهم الذي نطقوا بهِ في مصنفاتهم ، وصل ايضاً الى معرفة ما في ذلك اللسان من اسرار تركيب الالفاظ العلمية ، واذا قام بوجههِ ما يحول دون معرفة سر اللفظة العلمية ، عالج هو بنفسهِ

كشف غامض تلك الكلمة لما عرفهُ سابقاً حين تعلمهِ قواعد ذلك اللسان

وانا آتيك بمثل : طالعَ العربي العارف اللغة الفرنسية علم الاجنة واتقن معرفتهُ كل الاتقان في مدرسة طب عربية ، الاّ انهُ لم يقرأ شيئاً عن علم الاجنة في الفرنسية وان كان يحسن هذه اللغة الاخيرة كما لا مزيد عليهِ . ومن بعد ذلك اراد التوسع في العلم الذي تفرغ لدرسهِ ، أفتظن انهُ اذا طالع في كتب طبية ورأى فيها كلة Embryologie (انبريولوجي) لا ينتبه الى معناها حالاً من غير ان يبحث عنها في معجم لغوي او يسأل عنها واقفاً على معناها ؟ — لا جرم انهُ يفهم معناها للحال ، لانهُ عرف في ايام درسهِ اللغة الفرنسية ، ان الكلم المنتهية بلفظة « لوجي او لوجية » تفيد العلم ، وصدّر الكلمة المتحوتة يدل صريحاً على انهُ مقطوع embryon ومعناهُ الجنين . وللحال يستنتج من نفسهِ ان الانبريولوجية هي علم الاجنة ، من غير ان يراجع كتاباً في اللغة او يسأل واقفاً على معناها

وعلى هذا المثال قس سائر الالفاظ الجديدة التي يجهل معناها

٦ تفضيل كلة واحدة دخيلة على لفظتين عربيتين تفيدان معنى الدخيلة

يقولون لا يحسن بالعرب أن يضعوا كلتين عربيتين لكلمة واحدة افرنجية علمية ، لان الافرنج لا يكتفون بوضع الاسم للمسمى الجديد ، بل يتصرفون في هذا الاسم فيجمعونهُ وينسبون اليه ويشتقون منهُ فعلاً فيتعذر علينا أن نجري مجراهم في كلة عربية مركبة من كلتين

نقول : هذه الملاحظة تصدق في أغلب الأحيان لا في جميعها ، ولهذا لم نخصصنا بوجوب هذا الوضع ، أي اتخاذ كلة واحدة بدلاً من الكلمتين ، لكن قل لي بحياتك : هل هذا يوجب علينا إدخال اللفظة الأعجمية ؟ — لا وحقك . إن العربية غنية كل الغنى عن هذه الاستعارة ، اذ ما علينا الاّ أن نلتفت الى كنزها الدفين لنستخرج منهُ ما نحتاج اليه في مثل هذا المقام

نعم ان العربية غنية في أساليب وضع الألفاظ من غير أن نمد يدها الى لغة أخرى فعندنا النحت ، بل عندنا أحسن منه وأوسع وأقيس وأيسر وهو الاشتقاق الذي يضيق وحده عن كل أسلوب سواه ، وهناك ضرب آخر من الوضع لم ينتبه اليه كثيرون وهو الوضع بتغيير شيء من أصول الكلمة لاحداث معنى جديد لم يكن يعهد فيها ، وهذا يكون اما بافراغ تلك الأصول في قالب الصيغ المعنوية ويتم على وجهين وهما تغيير حركة بنائها أو زيادة حرف في أحد أصولها . فاذا زدت الحرف

في أول الكلمة كان التصدير أو التتويج وان زدته في قلب الكلمة كان الدس او الحشو وان زدتهُ في آخرها كان الكسع او التذييل وكل ذلك يعرف بالوضع المحول . وهنا نأتي على شاهد واحد لا غير اتماماً للفائدة ليكون بمنزلة مثال يحتذى عليه واظهاراً لفضل العربية وغناها وأنها لا تعجز عن استحداث الأوضاع العصرية اذا مسّت الحاجة اليها

قلنا في مستهل جوابنا هذا : ان ملاحظة الخصم تصدق في أغلب الأحيان لا في جميعها، وذلك أننا اذا قلنا في وضع مقابل للجيولوجية مثلاً «علم الهلك» (١) وهما لفظتان عربيتان تفيدان فائدة الكلمة المنحوتة الافرنجية ، فاننا نستطيع أن نتصرف فيهما تصرف الكلمة الواحدة العربية ولو كانتا كلتين . وذلك أنك اذا نسبت الى علم الهلك قلت : هلكي ، كما تنسب الى علم الفلك فتقول فلكي ، واذا أردت أن تعني العالم بهذا العلم قلت أيضاً الهلكي ، واذا أردت الجمع والتثنية قلت : الهلكيون والهلكيان . فتكون قد تصرفت في هذين الحرفين تصرفك في الحرف الواحد. ولهذا لا يصدق كلام الخصم في كل ما زعم به

اما النحت فقد انكرهُ جماعة ، ولاسيما جماعة المستشرقين ، وقالوا انهُ من المولد في العربية وان الاقدمين لم يعرفوهُ وانهُ محصور في بعض الفاظ معدودة لا يؤبهُ لها ، وان مزية اللغة الضادية تنفر طبعاً من مثل هذا التركيب الذي هو خاص باللغات الهندية الاوربية . على ان تتبعاتنا واستقراءاتنا الشخصية دلّت على ان النحت قديم غير مولد ، ولاسيما في الالفاظ الخماسية الحروف ، وان الاقدمين كثيراً ما سخّروهُ في كلامهم من نثر وشعر ، الاّ ان هذه الحقيقة تحتاج الى وضع مقالة برأسها لتأييد فكرتنا ، ولهذا نطوي الكلام عنها تفادياً من الاطالة ونحيل النظر اليها

جئنا الى الاشتقاق . وما ادراك ما الاشتقاق ؟ — تلك الوسيلة العربية البديعة التي تفتيك عن النحت ولا نرى مثيلاً لها في سائر اللغات على ما نرى من السعة في

(١) الهلك بالتحريك ما بين كل أرض الى التي تحتها الى الارض السابعة والهلك هيئة الشيء الهالك (القاموس) وهذه الكلمة العربية توافق المطلوب من هذا العلم أحسن من الكلمة الافرنجية المنحوتة من (جي = أرض) و (لوجوس = علم) فيكون معناها علم الارض وعلم الارض قد يصدق على عدة علوم يدور محورها على الارض بخلاف الهلك العربية فانها تعني ما تجري كل طبقة من طبقات الارض السبع الكبرى (وان كان هناك طبقات أخرى فرعية) وما في تلك الطبقات من جيف أو جثث الحيوانات التي بادت فتحجرت في قبالها . وهذه أبرع كلمة وجدناها للجيولوجية فاحتفظ بها واعتز بها ولا تغتر بغيرها

لغة الضاد تلك الوسيلة التي تتمكن بها من ان تضع الوانك الالفاظ على طريقة مطردة تكشف لك عما يجول في الخواطر من مستحدث المعاني من غير ان تحتاج الى واحد يشرح لك معناها ، ولا تدفعك اللباقة الى البحث عنها في كتب اللغة . فاللغة العربية من هذا القبيل تفوق سائر اللغات كلها وتبزّها بزاً ، ساميها وحاميها ويافثيها ! ودونك مثلاً من امثال لا تعد :

وضع الافرنج المحدثون كلمة « پروتون » لادق عنصر تتركب منهُ المادة . والكلمة مأخوذة من اليونانية « پروتوس » اي « اول » مذيلة بالحرفين « ون » للدلالة على التصغير ، فما ضرنا نحن لو قلنا « أويئل » تصغير اول كما فعلوا هم فاليوناني اذا سمع لاول مرة كلمة پروتون ، عرف ان معناها « الاول الصغير » وكذلك العربي اذا سمع لاول مرة « الاويئل » عرف معناها كما عرفهُ اليوناني . وكذلك يقال في الالكترون ومعناهُ « الكُهَيْرباء » لا « الكهرب » كما قال بعضهم

ودونك مثلاً آخر للكلمة لا تتصوّر انك تجد ما يقابلها في العربية وهي الفوتغرافية . فانت تعلم ان التصوير هو محاكاة الطبيعة في عملها اي بطبع الصور طبعاً يحاكي انطباع المُثُل مصغرة على بؤبؤ العين . واذا احتاج الانسان الى النظر في الشمس واراد ان يتبين حقيقة المرئيّ وضع كفهُ على حاجبهِ ، والعرب تسمي هذا العمل الاستكفاف او الاستشراف ، وما عمل المصوّر من وضع ستر على الآلة المصوّرة دفعاً للشمس الا من هذا القبيل فالاستكفاف اذا هو التصوير بالشمس اوالفوتغرافية . والمستكفّ بكسر الكاف المصوّر بالشمس او الفوتغرافي او كما يقول بعض البلداء : الفوتغرافجي . وهذا مستكَفّ فلان بفتح الكاف اي صورتهُ او رسمهُ الشمسيّ . وهكذا نجري على هذا الاسم وتتصرف فيهِ احسن تصرُّف ، وهذا خير من ان تقول الفوتغرافية ولا تستطيع ان تشتق منها فعلاً ، او اذا اشتققتهُ منها مسخت اللفظة الاصلية بحيث لا يهتدي اليها الا بشقّ النفس فتضطر الى ان تقول : تَفَتْغَفَ أو تفتغر او تفترف ، ولا تكاد تلفظ واحدة منها الا وتضحك الناس منها ساعات بل ربما اياماً واشهراً وسنين

وباب الاشتقاق على هذا الطراز واسع وكلهُ يؤنسك وتأنس اليهِ . وقد وضعنا الفاظاً كثيرة سداً للثغرة الناشئة من المستحدثات العصرية

واما الوضع المحوّل فهو كثير ايضاً في العربية ، بل ان ليس من مادة عربية

ثلاثية او رباعية او خماسية الا وقد نشأت من هذا التحويل

انك لا تجهل ان اصول اللغة العربية هي ذات هجاء واحد ذي حرفين . ثم زاد القوم حرفاً في اول هذا التنائي او في قلبه او في آخره من حروف الهجاء لاحداث معنى جديد متولد من خاصية الحرف المذكور من موقعه في الكلمة . وانا اذكر لك شاهداً على كل من انواع الزيادة من تصدير وحشو وتذييل

مثال تصدير الكلمة : رَمّ ومعناها اكل في بعض معانيها ولا يكون الاكل الا بقطع الشيء المأكول ، ثم قالوا : صرم ، وشرم ، وثرم ، وخرم ، وجرم ، وغرم ، وعرم ، وحرم . وفي كلها معنى القطع ، الا ان الفروق بيّنة . فانت ترى ان حروفاً مختلفة تناوبت على صدر الكلمة واصل المادة فيها رم

ودونك هذه المادة عينها وفيها الحشو : رَتَمَ ، ورثم ، ورجم ، وردم ، ورسم ورشم ، ورضم ، ورطم ، ورغم ، ورقم ، ورکم ، فهنا احد عشر حرفاً تعاقب على قلب الكلمة وحوّل معناها والاصل « رم » باقٍ في جوهره

واليك الآن ما يدلك على وجود الكشع عندنا : فهذه فلّ فقد كسعوها بالجيم والحاء والخاء والذال والعين والغين والقاف ، فقالوا : فلج ، وفلح ، وفلخ ، وفلذ ، وفلع ، وفلغ ، وفلق

وقد يقع في الكلمة الواحدة التصدير والحشو والكشع والقلب والابدال ، والاصل باقٍ على معناه فهذا تركيب « رب » فانهُ يدل في جميع اللغات السامية على العظمة . ومنهُ الرب ، ومقلوبهُ البَرّ يفيد السعة ، والبحر باقحام الحاء يدل على ماء واسع . وقالوا : رحب الشيء ، والحرب ، والخراب ، والخرم والرتج والبئر ، والكبر والجبروت والبرج والبركة والخبز الى غيرها وهي كثيرة

فنحن نستطيع ان نجاري الاولين في زيادة حرف او تغيير حركة في الكلمة لنحدث معنى جديداً . وان كنا لا نأتي هذا العمل الا مضطرين ، حين لا يبقى لنا في قوس الوضع منزع

٧ ليس تعريب الاعجمي بدعة في العربية

يقول الحزب المخالف : ليس تعريب الاعجمي بدعة في العربية ، فقد جرى عليه كل المترجمين في العهد الاول ، فقد عربوا الوفاً من الكلمات الطبية والنباتية وغيرها ، ووَرَدَ منها شيء كثير في افصح الكتب

نقول : اننا لا ننكر هذه الحقيقة ، الاّ ان عصر التعريب اختلف فهو ينقسم الى ثلاثة اقسام : عصر التعريب في طفولته وعصر الشباب ، وعصر الهرم. ولنقل كلمتين عن كل عصر من هذه العصور الثلاثة :

كانت طفولة التعريب في اول عهد العرب بنقل الكتب اليونانية والسريانية الى لغتهم ، ولما كان اغلبهم يعرفون اللغات الاجنبية اكثر من معرفتهم للغة العربية ، ولم يكن متسع في الوقت لينظروا في دواوين اللغة ، بل ولم يتيسر لهم جمع الدواوين نفسها لندرتها او لعدم وجودها ، ولم يكن لهم يومئذٍ وسائل كالوسائل التي بايدينا اليوم ، كثر في ذاك العهد الالفاظ الدخيلة باوزان غريبة وعلى اوجهٍ عديدة ، فان الكلمة الواحدة الاجنبية ، علماً كانت او نكرة ، وردت على قلم فلانٍ بغير الصورة التي وردت على أسلم هذا الآخر وهكذا الى مالا نهاية له بحيث تمل النفس من استقراء تلك الروايات أو القراءات او اللغات

وشباب التعريب كان على غير الوجه المتقدم ذكرهُ ، فان النقلة قُبيل عهد المأمون وبعدهُ بكثير اعتادوا الترجمة فنقوا من اللغة المبنية جميع الالفاظ الدخيلة التي لا تأتلف اوزانها مع اوزان النحاة وابدلوها بكلم عربية الاصل ، فان النقلة الاولين قالوا : الاسطرنوميا (وفي بعض الكتب : الاسطرلوميا) والجومطريا والانولوطيقا (ووردت بصورة الوطيقا وابولوطيقي) والسولوجسموس (ووردت في بعض الكتب : سولوقوس وسولوخوس وسولوجوسموس وسولوحوسحموس) والافودقطيقي (وجاءت في بعض المؤلفات : افور قطيقي وافوذوطيقي وافودوطيقي وافوروطيقي الى غيرها) وطوبيقي (وذكرت بصورة طوبيقا وطونيقا وطونيقي وطورستي) وسوفسطيقي (وعرفها بعضهم باسم سوفسطيقا وسوفيطقي) وديطوريقي (وصحف كثيرون في مؤلفاتهم طاريقا وبريطوريقي وريطوريقا) الى غيرها وتعد بالالوف (١)

اما نقلة عصر الفتوة فانهم قالوا : علم النجوم والهندسة (اختاروا الفارسية الاصل لخفتها وقربها من الصيغ العربية مع ان العلم اخذوهُ عن اليونان) والعكس والقياس والايضاح والمواضع والتحكم والخطابة

(١) هذه الالفاظ مع لغاتها وتصحيفاتها المختلفة وردت في كتاب مفاتيح العلوم لابي عبد الله محمد الخوارزمي وقد نشر هذا الكتاب ج . فان فلوتن في ليدن سنة ١٨٩٥

الا انهم ابقوا من الالفاظ المعربة قديماً جميع الكلم التي يقرب تركيبها من تركيب اللغة الفصحى وبالاخص اذا كانت حروفها واوزانها واصولها تشابه حروف العرب واوزانهم واصولهم فانهم تمسكوا بها اشدّ التمسك ، بل ادعوا انها عربية وان الاعراب اخذوها منهم ، ولا سيما اذا كانت تلك المعربات وقعت اليهم من عهد الجاهلية كالله ، والملاك والملكوت ، والقرآن والفُرقان والسُّورة والآية والتوراة ، والانجيل إلى غيرها وتعدّ بالمئات فانهم احتفظوا بها لما ذكرناهُ من العلل

وهرم التعريب كان في عهد المغول والاتراك فان النقلة في ذلك الأوان لم يكتفوا بادخال الالفاظ باوزانها الغريبة وتراكيبها المفسودة ، بل افسدوا ايضاً اصول اللفظة فادخلوا في هذه اللغة الشريفة كلاً مركبة من الفارسية والعربية أو من التركية والعربية ، وافسدوا ضوابط العربية نفسها

فاما المنحوت من الفارسية والعربية فكقول بعضهم خزندار وعلمدار وخكدار وشاهباز وقلمدان وشمعدان ومخوردان الى ماضارع هذه التراكيب الممقوتة القبيحة الذوق . واما ما افسدوهُ من ضوابط اللغة فمثل جمعهم جمع المؤنث السالم الفاظاً خاصة بالذكور كقولهم في جمع باشا واغا وخواجا وبك وقان وشاه باشوات او باشات او باشاوات ، واغوات او آغاوات ، وخواجات وبكوات وقانات وشاهات وكقولهم عمر باشا وعثمان افندي واحمد آغا ونحوها ، وكان يجب ان يقال عمر الباشا وعثمان الافندي واحمد الاغا ، أو ان يقال : الباشا عمر والافندي عثمان والاغا احمد . وككتابتهم مثل مدحة ونشأة وشوكة : مدحت ونشأت وشوكت بالتاء المبسوطة . وهناك غير هذه المفاسد والاوبئة التي نضرب عنها صفحاً خوفاً من إحراج الصدور

فاذا رعيت ما تلوناهُ عليك من عصور التعريب والنقل وأي الفاظ رضوا بها وأيّ الفاظ نبذوها ، تبيّن لك انهُ لا يليق بابناء العصر ان يجروا على آثار كل من عرّب فافسد ، بل ان يجرى على آثار السلف في عهد عز اللغة والتعريب وحينئذٍ يكون الخطب هيّناً (كلدة)